الرد على أقوال مايكل مارتن، في كتابه الإلحادُ: تعليلٌ فلسفيٌ من منظور إسلامي

بسام علي العموش*

تاريخ الاستلام 2024/1/13 DOI: https://doi.org /10.47017/33.1.2 تاريخ القبول 2024/12/3

الملخَص

يتناول هذا البحث الأفكارَ الإلحادية للفيلسوف الأمريكي "مايكل مارتن" ويناقشها بنفس المنطق العقلي الذي يدعيه ومن يؤيده أو يقول بمثل قوله حيث يظن هؤلاء أن أهل الإيمان مجموعة من السذج، الذين يرددون ما ورثوه دون تعقل. وهي دعوى منقوضة بالنصوص القرآنية، والحديثية، والواقع البشري. وأنا هنا أتحدث عن الإسلام فحسب أما غيره فبالرغم من أن فكرة الإيمان فكرة إنسانية منسجمة مع الفطرة البشرية إلا إن مضامين الإيمان مختلفة في الإسلام عما هو عند الآخرين. وقد ركز الباحث على الأفكار والشبهات الأساسية وقام بالرد عليها بالنصوص الإسلامية والأدلة العقلية.إنني إذ أناقش فكراً إلحادياً فهذا يعني الاعتراف بوجوده، والاعتراف أن البشر لن يتفقوا على كل شيء، وأن الخلاف ظاهرة صحية، فنحن مختلفون في ألواننا وعاداتنا وقوانيننا ولغاتنا وأذواقنا. وهذا أمر حسمه الإسلام بمنع الإكراه "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"الكهف/ 29، لكن هذا لا يمنع من الحوار وتبادل الأفكار وهذا هدفي في هذا البحث إذ إني أجيب على سؤال: هل هناك إلحاد وملحدون؟ جاء بحثي ليتناول نموذجاً من الإلحاد الجديد لأنه يدعي العلمية والمنطقية. لقد أسفر هذا البحث عن نتائج وتوصيات أكدت على احترامنا للعقل بينما الملحد يمارس الانتقاء العقلي ليخدم فكرته.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الإلحاد، شبهات الإلحاد، اختلاف مضامين الإيمان.

المقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فإن "الإلحاد" - وإن كان قديماً وعبر التاريخ البشري- له وجود إلا أنه في هذه الأيام- أي القرن الحادي والعشرين الميلادي - في تصاعد ملحوظ، حيث تعيش غالبية سكان الأرض في تيه عن الحق، وغياب طرح منظومة فكرية وعقدية، مما أتاح المجال لدعاة الإلحاد بالانتشار، وتسويق ما لديهم من أفكار، مستغلين الفراغ الروحي، والتقدم العلمي والتقني في عالم الاتصالات؛ ساعدهم في ذلك دعاة الانحلال، ومروجو العلمانية والفكر المضاد للحق، وغياب الحضور الإسلامي الدولي المنظم عالمياً، ورغبة الدول في استبعاد الدين عن الحياة ليبقى هَمُ الناس الرغيفَ، والعيش، وأعباء الحياة.

من هنا كان لابد من المزيد من الدراسات التي ترد على "الإلحاد"، وعدم ترك المساحة فارغة لتمدد أهل الباطل. فوجدت من الواجب علي، أن أكتب عن فكر أحد هؤلاء الملحدين المعروفين، وهو "مايكل مارتن"، من خلال دراسة كتابه (الإلحاد: تعليل فلسفي)، والذي يبلغ أكثر من تسعمائة صفحة، حيث إن الإلحاد موجود شئنا أم أبينا، وإن الحوار في هذا الشأن ذو فائدة، فلطالما رجع ملحدون لما تبينت لهم الأدلة. وقد جعلت بحثي في مقدمة وفصلين، وقسمت كل فصل إلى مباحث تناولت فيها حجج مايكل مارتن، وردوده على مخالفيه في الجدليات الكونية والغائية، وتلك المتعلقة بالتجارب الدينية، والمعجزات وجدلية المنفعة، وكلامه عن الإرادة، والشر، والروح، والخطيئة، والخلاص، مؤكداً على دلالة وجود الخالق فطرةً؛ وعقلاً، وجدلاً، من خلال الآيات الكونية والنفسية، موظفاً نصوص الشرع الإسلامي الحنيف في إسناد الأدلة العقلية. آملاً أن أكون قد قدمت مفيداً نافعاً، يتسلح به الشباب المؤمن، وكل عاقل باحث عن الحقيقة. وختمت بحثي بعدد من النتائج والتوصيات.

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك، "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2024.

* قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية الدراسة، من خلال ما ياتي:

1. تعد هذه الدراسة من الدراسات القليلة التي تناولت كتاب "مايكل مارتن"، وعنيت بالرد على حججه وشبهاته، وبيان بطلانها.
2. تضيف الدراسة بحثاً جديداً، يتسلح به الشباب المؤمن، وكل عاقل يبحث عن الحقيقة.
3. توجه الدراسة الشباب الملحد الذي فقد البوصلة الصحيحة، وحاد عن جادة الصواب متخبطاً في التيه والضياع، وذلك من خلال عرض منظومة فكرية وعقدية، تضيق الخناق على دعاة الإلحاد، والحد من انتشار أفكارهم.

مشكلة الدراسة:

يعد الإلحاد – بشكليه الإيجابي والسلبي – من أبرز التحديات التي نشطت في القرن الحادي والعشرين؛ نظراً لانتشاره بين أوساط الشباب، والنشء، وصغار السن؛ وذلك إما عن جهل، أو رغبة في التهرب من التكاليف الدينية، أو بسبب التأثر بالتيارات الفكرية الفاسدة التي تسعى لتقويض الأديان، أو بقصد الحصول على الحرية المطلقة دون رقيب، أو استكباراً عن الحق، والإصرار على الباطل، وغيرها من الأسباب.

إن أغلب الدراسات الشرقية التي تناولت الحديث عن الإلحاد والردود عليه، لم تركز على مؤلفات وأبحاث "مايكل" في حين إنه من أبرز الذين عنوا بالإلحاد الإيجابي، ودراسته من جوانب فلسفية وعقلية بقصد تبريره لمدة تزيد على ثلاثين عاماً. من هنا ارتأى الباحث التركيز على هذا الملحد – الذي يعد مرجعاً للعديد من الملحدين والشرقيين – مما يؤكد على أهمية هذا البحث.

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى توضيح ما يأتي:

1. إبراز الحجج العقلية والفلسفية المعتمدة عند "مايكل"، وأغلب الملحدين.
2. الرد العقلي والمنطقي على حجج الملحدين، وبيان بطلانها شرعاً وعقلاً.
3. بيان بطلان حجج الإلحاد بشقيه؛ السلبي والإيجابي، مع مخالفتهما للعقل والفطرة السليمة.

فرضيات الدراسة:

يسعى البحث للتحقق من الفرضيات الآتية:

1. مشكلة الشر، وهي من أبرز حجج الإلحاد، والعمل على تجلية هذه الحجة وإبطالها.
2. مشكلة الإرادة الحرة ومناقشتها.
3. بيان أقسام الإلحاد "السلبي والإيجابي" لاعتماد "مايكل" عليهما في تقسيم كتابه.

مصطلحات الدراسة:

1. الإلحاد السلبي: هو عدم الاعتقاد بوجود الله، مع عدم حسم موقفه من وجود الله.
2. الإلحاد الإيجابي: هو عدم الاعتقاد بوجود الله لعدم وجود الحجج الكافية.
3. مشكلة الشر.
4. الجدلية الكونية والغائية.

مجالات الدراسة:

1. المجال البشري حيث التركيز على الملحد.
2. المجال الزماني حيث تقتصر الدراسة على فترة نشر الكتاب.

الدراسات السابقة: هناك الكثير مما كتب عن الإلحاد، لكن الكتابة عن مايكل وكتابه حسب علمي قليلة، فهناك بحث باللغة الفارسية عن "مايكل" غير مترجم. وأنا هنا أتحدث عما كتب باللغة العربية، ومن المحتمل وجود كتابات بالإنجليزية لا أزعم الاطلاع عليها.

منهج الدراسة:

اعتمدت المنهج الاستقرائي لجمع أقوال "مايكل" ومن ثم كان المنهج التحليلي النقدي لتحقيق هدف الدراسة.

الفصل الأول: تاريخ الإلحاد والتعريف ب "مايكل" وكتابه

المبحث الأول: تاريخ الإلحاد[1]

عند النظر في التاريخ، نجد أن الإلحاد بشقيه كان موجوداً بصورة أو بأخرى، وقد حدثنا القرآن الكريم عن ذلك في قول الله تعالى: "وقالوا إنْ هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر" الجاثية/24 ولهذا سُموا بالدهريين. وقد كتب الأفغاني رداً عليهم في كتابه "الرد على الدهريين". وقد سماهم البعض بالطبائعيين؛ أي القائلين بالطبيعة. وقد وُجد هؤلاء في كل الحضارات، سواء كانت الرومانية،أو الفرعونية،أو الفارسية، أو الحضارة المادية الحديثة، ووُجد من هؤلاء في جزيرة العرب قديماً، وفي بلاد العرب حديثاً.

وبالرغم من أن أمريكا ليست بلاد فلسفة - كما هو الحال في القارة العجوز (أوروبا) حيث كانت الفلسفة اليونانية والفرنسية، ووجود فلاسفة ماديين ملحدين في بريطانيا، إلا أن أمريكا قد ضمت على أرضها فلاسفة ملحدين، ومنهم (مايكل مارتن) الذي خصصنا هذا البحث للنظر في أدلته والرد عليها في كتابه (الإلحاد: تعليل فلسفي).

وقد تنوع الإلحاد بشقيه السلبي والإيجابي، وشمل المجال العلمي، والاجتماعي، والفلسفي، والأدبي، والأنثروبولوجي.

المبحث الثاني: التعريف بمايكل مارتن وكتابه[2]

"مايكل مارتن" (3 فبراير 1932 – 27 مايو 2015) هو فيلسوف ملحد أمريكي، حصل على بكالوريس إدارة أعمال بجامعة أريزونا عام "1956م" ثم ماستر فلسفة من نفس الجامعة عام "1958م"، وبعدها حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام "1962م". وهو متخصص في فلسفة الدين، على الرغم من أنه عمل – أيضاً - على فلسفة العلوم الطبيعية، والاجتماعية، وفلسفة القانون، وعمل أستاذاً مساعداً بجامعة كولورادو عام "1962م" ثم أستاذاً فخرياً فيها. وهو مؤلف ومحرر لعدد من الكتب، منها الإلحاد: تبرير فلسفيّ (1989)، مرافعة ضد المسيحية (1999)، استحالة الإله (2003)، لا احتمالية للإله (2006)، دليل جامعة كامبرج إلى الإلحاد (2006)/ مدير تحرير ومشارك، وكان عضواً في هيئة تحرير (جورنال فيلو).

يقول مارتن في كتابه (الإلحاد: تعليل فلسفي): "ليس هدفي من الكتاب جعل الإلحاد معتقداً شائعاً، أو حتى الحيلولة دون كونه معتقداً غير منظور، فهدفي ليس مثالياً، هدفي هو مجرد تقديم أسباب جيدة للإلحاد ... المعتقدات الإلحادية ليست قائمة دائماً على المنطق، برأيي هي يجب أن تكون كذلك".

وصف الكتاب:

يعد هذا الكتاب من أهم كتب مارتن، حيث يهدف فيه الكاتب - بشكل واضح – إلى تأكيد عقلانية الإلحاد، والإيمان بالله خلاف ذلك، مع حرصه على تقديم أسباب وجيهة – في نظره - كونه ملحداً، والدفاع عن ذلك وتبريره. وقد بلغت صفحاته 917 صفحة ولهذا يصعب تناول كل ما ورد فيه في بحث صغير الحجم.

يعتمد "مارتن" على الافتراضات العقلانية؛ لتبرير إلحاده، وإقامة الحجة على المؤمنين بوجود الخالق. ويعتمد – كذلك- في بنية كتابه على تقسيم إلى قسمين، هما: الإلحاد السلبي (Hassan, 1437H, 42) والإلحاد الإيجابي (Sherif, 1977, 393)، فالشكل "1x" يمثل الشخص الذي لا يؤمن بوجود الله، والشكل الثاني "2x" يمثل الشخص الذي يعتقد أن الله غير موجود. فعليه وفق فلسفة "مارتن" أن الملحد السلبي هو الشخص الذي يلبي ادعاء الشكل الأول"1x"؛ولكنه يفشل في ادعاء الشكل الثاني"2x"، في حين الملحد الإيجابي، هو من يلبي ادعاء الشكلين؛ الأول"1x" والثاني"2x".

ويهدف الجزء الأول من الكتاب، إلى أن يكون تبريراً أو دفاعًا عن الإلحاد السلبي، وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام، هي: الأول: تبرير الإلحاد: كون اللغة الدينية المستخدمة- لدى المؤمن بالله- غير قابلة للتحقق. وهذا مانجده في الفصل الثاني من الجزء الأول للكتاب، حيث يشير "مارتن" إلى وجود حجة قوية يمكن أن يقدمها لصالح القول بانعدام المعنى المعرفي للتعبيرات الدينية. في حين يحاول في القسم الثاني: إثبات أن الحجج المعرفية المتعلقة بوجود الإله غير سليمة، وتفشل أمام حجج "مارتن" العقلية، وذلك مانجده في الفصول "2-5". أما القسم الثالث: فيُعنى بإثبات فشل الأسباب المعرفية، والخبرات الدينية في إثبات الإيمان بوجود الله، ناهيك عن فشل المعجزات في إثبات وجوده، وذلك في الفصول "6-10".

أما الجزء الثاني من الكتاب، فيهدف إلى الدفاع عن الإلحاد الإيجابي، حيث يتكون من ثلاثة أقسام أيضاً، هي: القسم الأول: مخصص لإظهار أن هناك تناقضات ثلاثة - على الأقل - في مفهوم الإله، وذلك في الصفحات "450-510". وفي القسم الثاني يعتمد مارتن على الحجج الغائية الإلحادية، في الصفحات "511-588"، أما القسم الثالث: فمخصص للدفاع عن نوعين من الحجج الاستقرائية والافتراضية الاحتمالية، بحجة وجود الشر؛ للدلالة على عدم وجود الخالق، وهي في الصفحات "589-750". وقد ترجم الكتاب الملحد لؤي عشري ونشرته Temple University Press, Philadelphia, USA.

وقد قام الفيلسوف الأسترالي الملحد بيتر سنجر "مواليد 1946 أستاذ الفلسفة الأخلاقية في جامعة ملبورن"، بمراجعات لكتاب "مايكل مارتن" ورد عليه في النقاط الآتية:

1- إن ضرر كتاب "مايكل" أكبر من نفعه؛ لأنه يفتقد الدقة في المناقشات.
2- لابد من تصحيح مسار الدفاع عن الإلحاد.
3- حجج مارتن متوسطة القوة.
4- هنالك أشكال ناجحة للدليل، لم يستخدمها "مارتن".
5- هنالك شخصيات عظيمة آمنت بالله.

ولمايكل كتاب آخر بعنوان "استحالة الله".إن ما كتبه مارتن ليس بجديد، فكتب الإلحاد كثيرة منها:

- المنطق السليم لجان ميسلييه عام 1678م.
- العلم المرح لنيتشه عام 1844م.
- تمرد الجماهير لخوسيه أورتيجا 1883م.
- المؤمن الحقيقي لإيريك هوفر 1902م.
- عدم الاعتقاد والشر حجتان لعدم وجود الله لثيودور دراينج 1934م.
- إبطال السحر لدانييل دينييت 1942م.
- دليل الملحد إلى الواقع لإلكساندرروزنبرغ 1946م.
- ضد جميع الآلهة لأنتوني جرايلنج 1949م.
- 36 حجة لوجود الله: عمل خيالي لريبيكا غولدشتاين 1950م.
- الإلحاد مقدمة قصيرة جداً لجوليان باغييتي 1968م.

- الدين من أجل الملحدين لآلن دي بوتون 1969م
- الاختباء الإلهي لشيلينبيرغ 1993م

وغيرها من الكتب.

الفصل الثاني: حجج "مارتن" والرد عليها وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: شبهات تتعلق بالله:

1. لماذا لا نرى الله؟

هذا تطلع إنساني لا نستنكره؛ لكن ذلك فوق قدرتنا الحالية، حيث إننا لا نرى كثيرًا من الموجودات المخلوقة، فنحن لم نر العقل مثلاً (Al-Amoush, 2020, 20)، ولا نرى الكهرباء، ولا نرى المشاعر، وهناك مخلوقات دقيقة لا نراها بالعين المجردة، ويكتفي الانسان بآثارها للإيمان بها.

وكل الملاحدة يؤمنون بالعقل ولم يروه؛ فلماذا قبلوا ذلك؟ وفي عقيدة المسلمين أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة حيث تميزوا بالإيمان بالله، دون رؤيته مكتفين برؤية آثاره: (وفي كل شي له آية تدل على أنه واحد). ورغم حق الإنسان في البحث عن الله؛ لكنه لن يصل إلى ذات الله (Al-Khatib, 1975, 282).

2. إذا كان هناك إله؛ فمن أين جاء؟

الإنسان مخلوق ضعيف، ومن ضعفه قلة علمه، كما قال تعالى: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" الإسراء/ 85، والسؤال الذي أطرحه: هل عَلِمَ الإنسان كل شيء؟ هناك أمراض لا يعلم الإنسان علاجها؟ وكونيات تقع لا يستطيع الإنسان تفسيرها، وإن وجد التفسير فليس واحدًا، وإذا كنا معشر البشر نجهل أشياء فينا وفي المخلوقات؛ فهل نستطيع أن نجيب على سؤال: من أين جاء الإله؟ وإذا كنا لا نستطيع الإجابة؛ فهل الحل هو إنكار وجوده؟ إن من المقرر من القواعد العقلية والمنطقية، أن عدم العلم، لا يعني عدم الوجود (Al-Ajari, 2016).

3. هل يقدر الإله أن يميت نفسه؟

هذا السؤال طرحه ملاحدة، وطرحه زنادقة، يظنون أنهم على شيء، وعلى منواله يقولون: هل يستطيع الإله أن يخلق صخرة لا يستطيع حملها؟ وهم بهذه الأسئلة، يريدون الوصول إلى إحدى النتيجتين: أن نقول لا يستطيع، بالتالي فهو ليس إلهاً، وليس على كل شيء قديراً، أو نقول يستطيع، بالتالي فإنه إن أمات نفسه فقد صار الكون بدون إله. هذه الأسئلة، تتعلق بالمستحيل العقلي، وهو عند العقلاء غير وارد أصلاً، كأن نقول: للمثلث أربعة أضلاع، أو ضلع المثلث القائم المقابل للزاوية القائمة لا يساوي مربعه مجموع المربعين القائمين على الضلعين الآخرين، وإذا كان الملحدون يقصدون أن قدرة الله يجب أن تكون مطلقة - وهو ما نقول به - فقد عبّروا عما في أنفسهم من فطرة؛ وهو كمال الإله وقدرته التي لا حدود لها. إن عبارة (الإله يُميت نفسَه)، عبارة متناقضة لأن الألوهية تعني عدم الموت، وكل عبارة متناقضة نعيدها إلى قائلها ليقول لنا جملة مفيدة عقلية منتظمة غير متناقضة.

4. من هو الله؟

هو الخالق الرزاق المحيي المميت، هو رب العالمين، ولا يستطيع الإنسان التحدث عن ذات الله؛ لأن علم الإنسان محدود، ولا يجوز في المنطق العقلي أن يتحدث الإنسان بغير علم وأدلة، وبخاصة فيما يتعلق بالله تعالى؛ ولهذا فإننا في الإسلام نجيب عن هذا السؤال عبر النصوص القرآنية والنبوية، قال تعالى: "قل هو الله أحد (1) الله الصمد (2) لم يلد ولم يولد (3) ولم يكن له كفواً أحد (4)" سورة الإخلاص، وقال تعالى: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السمأوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم (255)" سورة البقرة، وقال:

"هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر" الحشر/23. الإله واحد، ليس له بداية ولا نهاية، حي لا يموت، ليس بحاجة لشيء، وكل شيء بحاجة إليه، فهو الغني القادر على كل شيء، وهو القيوم؛ أي القائم بنفسه، القائم على مصالح خلقه، ليس له أولاد، وليس له زوجة، ولا يُقاس عليه البشر"ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" الشورى/ 11، "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" الأعراف/ 180. ومع هذه النصوص كلها، فإن "حقيقة الذات الإلاهية لا يمكن للعقل معرفتها" (Sabq, n.d, 37).

5. كيف تنسبون الكلام والصوت لله؟

هذا كلام غريب من الملحدين، فما داموا ينكرون وجود الله؛ فما لهم وللتفاصيل؟ هذا سؤال يتعلق بذات الله، فإذا كنتم تنكرون وجود الله، فإنكم بالضرورة تنكرون ما تعلق بذاته كله؛ أما نحن، فإننا لا نتحدث عن الله إلا بما أخبر به هو عن نفسه، أو أخبر عنه رسوله، كل ذلك بما يليق بجلال الله، ودون تشبيه الخالق بالمخلوق، كما قال تعالى: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" الشورى/ 11، فالنفي لا يعني العدم؛ ولهذا جاء ذكر صفتين بعد النفي، هما السميع والبصير، وكل ذلك دون تشبيه، بما يليق بجلاله.

وبالمنطق العقلي؛ فإن الله تعالى ذات، وله صفات تليق بجلاله، ذكرها هو عن نفسه، وذكرها عنه رسوله، وإن عدم الكلام صفة نقص في الإنسان، وفي عقيدتنا قد تقرر أن الله له صفات الكمال، وعندنا في قرآننا "وكلّم اللهُ موسى تكليمًا" النساء/ 164، وفيه أيضاً "وقال ربكم ادعوني استجب لكم" غافر/ 60، وقال "وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين" النحل/ 51. ومع كل ذلك فإننا لا نتوغل في هذا أكثر مما جاء في النصوص؛ لأن عقيدتنا نفي وإثبات؛ نفي المشابهة والمشاكلة للمخلوقات، وإثبات حتى لا نكون أمام العدم، ولكنه إثبات نابع وتابع للنصوص، دون الحديث عن الكيفية، فالله في عقيدتنا (يتكلم متى شاء، وكيف شاء، لا يشبه كلامه كلام المخلوقين) (Ashqar, 1979, 166).

6. قال مايكل: (بطلان نظريات العدالة الإلهية واضح) الفصل 14

استدل مايكل على بطلان العدالة الإلهية بوجود الشر حيث قال: إما أن الله راغب في إزالة الشر، وغير قادر، أو أنه قادر وغير راغب. الدنيا دار ابتلاء واختبار؛ ولهذا فيها المتقابلات والمتناقضات، وهذا لا يتعارض مع العدل الالهي؛ بل هو جزء من العدل، حيث لابد من أن يكون الجزاء من جنس العمل؛ فهذا يبتلى بالمال، ويستخدمه بطريقة صحيحة؛ جمعاً وإنفاقاً، وهذا يبتلى بالفقر، هل يتحرك للتخلص منه، والصبر عليه في أثناء وجوده. وهذا يبتلى بالصحة، هل يستخدم جسده في عمل الخير، ومساعدة المظلوم، ونصرة الحق. وهذا يُبتلى بالضعف أو المرض؛ ليعمل على مقاومته بالعلاج، وطلب الدواء والصبر على الألم. وهنا لابد من التذكير بأن ظاهرة التوازن واضحة للعيان، حيث يزداد الأجر بالتمسك بالصبر، وأن من يقدم روحه في سبيل الله، فهو مع الأنبياء، وأن من يسعف الفقير والمحتاج، يتم تعويضه بالبركة في الدنيا، والأجر العظيم عند الله في الآخرة. إن إرادة الله فاعلة فلو أراد زوال الشر لفعل، فهو على كل شيء قدير؛ إذ بدون القدرة المطلقة لا يكون إلهاً، وقد حرضنا على مقاومة الشر ليتحقق الابتلاء، ولو أراد هو أن يفني الشر لفعل ولكنها إرادته التي أرادت أن تكون لنا إرادة.

7. قال مايكل: (كلمة الله لا تعني شيئاً بل عديمة المعنى حيث أعلن ذلك فلاسفة المنطق) ص 76: ليس صحيحاً أن فلاسفة المنطق قالوا إن كلمة الله لا تعني شيئاً!! ربما هذا يصدق على مايكل والفلاسفة والمناطقة الملحدين، وهل من المنطق التعميم، وإلغاء وجود مناطقة مؤمنين؟ هل قرأ مايكلُ ابنَ رشد وابن سينا والفارابي وابن تيمية والغزالي؟ هل اطلع على كتاب (درء تعارض العقل والنقل) لابن تيمية؟ هل اطلع على كتاب (الرد على المنطقيين)[3] لابن تيمية؟ وهل اطلع على كتاب (الأسس المنطقية للاستقراء) لمحمد باقر الصدر، الذي أكد أن الدليل الاستقرائي يثبت الصانع؟ (Al-Sadr, 1977, 441)، هذا الذي يقوله مايكل تزوير وكذب. نعم هناك فلاسفة منطق ملحدون؛ لكن هناك فلاسفة مؤمنين مثل أرسطو وهيجل وديكارت وغيرهم.

شبهات تتعلق بالمعجزات والأنبياء:

8. المعجزات لا يمكن الجزم بها:

استدل مايكل على إنكاره المعجزات، بأن المعالجين المعاصرين بالإيمان يستعملون الخداع والغش ليجعلوا الأمر يبدو إشفاءات معجزية.

المعجزة نسبه العجز إلى الغير، وهي خرق للعادة؛ أي النواميس والقوانين الطبيعية، والمعجزة ضرورية دليلاً على نبوة النبي، حتى يتميز النبي عن مدعي النبوة من الكذابين، فالعصا جماد؛ لكنها تحولت بيدي موسى -عليه السلام- حين ألقاها فتحولت إلى حية تسعى، أمام مرأى أعداد غفيرة من الناس، بمن فيهم فرعون حاكم مصر، وكان مشاهدًا من الجميع، في وقت الضحى من النهار، وكذا معجزة اليد البيضاء وغيرها. وقد كان لكل رسول معجزة؛ حتى يؤمن قومه، حتى جاء محمد -صلى الله عليه وسلم- فكانت معجزته الكلمة في أمة تعتز بالكلام؛ وتقام فيها الأسواق، وتقال فيها المعلقات من الأشعار، وتعرف فنون البلاغة والفصاحة. نعم إنها معجزة مستمرة كونه خاتم الرسل فلا نبي بعده؛ ولهذا فإن الناس جميعاً مدعوون لدراسة النص القرآني؛ للإجابة عن أسئلة عديدة:

1. من أين جاء هذا القرآن، وكيف يأتي به رجل لا يقرأ ولا يكتب؟
2. ولماذا كان هذا القرآن واحداً في بقاع الأرض كلها، بخلاف التوراة التي صارت واحدة سامرية، وثانية عبرانية، وثالثة يونانية، ولماذا صار الإنجيل 700 إنجيل، ثم 300، ثم 75، ثم أربعة؟
3. وكيف لرجل أن يأتي بكتاب فيه الشمول؛ حيث الحديث عن الدنيا والآخرة، والرجل والمرأة، والحرب والسلام، والعلاقات الثلاث: بالله والناس والنفس؟ وكيف لهذا الكتاب أن يتناول التاريخ، والفلك، والاجتماع، والتربية، والأخلاق، ويتناول الدولة وعلاقة الحاكم بالمحكوم؟ وكيف له أن يشير إلى قضايا علمية لم يعرفها العقل البشري إلا مؤخراً؛ كاتساع الكون، وظلمات الرحم، وتمييز البصمة البشرية؟ كيف يدين الذنوب، ويفتح باب التوبة، إلى غير ذلك مما هو في القرآن الكريم.
4. إذا كان بمقدور الناس المجيء بمثله؛ فلماذا لم يفعل ذلك العرب أهل اللغة؟

أما الذين يمارسون الدجل والشعوذة لخداع البسطاء فهذا شيء آخر نحاربه ولا علاقة له بمعجزات الأنبياء، لأن المعجزة إنما كانت لإثبات النبوة بخلاف المتكسب الدجال الراغب بالكسب عبر الخداع.

المبحث الثاني: شبهات تتعلق بالحياة:

9. الحياه سخيفة ص 46:

لا شك أن الإيمان أقوى مساعد على مواجهة صعاب الحياة، وسلبياتها، ومصائبها؛ فهو الواقي من الانهيار، حيث يشكل الإيمان بالله درعًا قويًا للنفس البشرية، حين تؤمن النفس أن الله هو الذي يدير هذا الكون، وأنه هو الذي يساعد ويعين، ويجبر الكسر، ويعوض على المصاب؛ أما الملحد،فليس له كل ذلك؛ فلمن يلجأ؟ كيف يحتمل السلبيات، كيف يواجه الكوارث؟

للمرض، والموت، والمصيبة؛ تفسير في الدين على أنه ابتلاء، وأن الموت انتقال من مرحلة إلى أخرى، حيث لم تنته القصة عند الموت؛ بل هو بداية لحياة أخرى؛ أما الملحد، فلا واقي له، ولا سند، ولا تفسير. عندنا نص قوي في هذا، وهو قوله تعالى: "إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب" الزمر/ 10، أما الملحد، فلا يملك إلا أن يتمزق داخلياً، وحين يسمع كلام أصدقائه فلا يجد إلا كلمة الأسف؛ بينما يتلقى المؤمن دعم المؤمنين بأن الله هو الذي أعطى، وهو الذي أخذ، وأننا جميعا لله "إنا لله وإنا إليه راجعون" البقرة/ 156، وماذا يفعل إن لم يصبر؟ هل يلحق نفسه بميته فينتحر، أم يبقى على قيد الحياة، ويسترجع، ويطلب الرحمة من الله لميته؟ المؤمن أكثر واقعية؛ بينما الملحد بغير غطاء، ولا توجيه، ولا تفسير، سوى أن هذا الإنسان انتهى وجوده، فلا استرجاع، ولا حوقلة، ولا احتساب، ولا صبر، وبهذا، فإن حياة الملحد

تستحق الشفقة والتأمل. يقول محمد باقر الصدر: "لابد قبل كل شيء من تكوين فكرة عن كيفية تحديد القيمة للاحتمال، ما هي قيمة احتمال وجود ذات حكيمة" (Al-Sadr, 1977, 442).

وأقول: ما قيمة احتمال الإيمان، وقيمة احتمال الإلحاد؟ وأترك الجواب لكل واحد يجيب بنفسه.

شبهات تتعلق بالعقل:

10. العقل هو النبي:

لا شك أن العقل (Yassin, 2001, 6) أداة في غاية الأهمية؛ ولهذا ربطت الشريعة الإسلامية التكليف بوجود العقل؛ فلا تكليف للصغير، ولا المجنون؛ ولهذا كانت القاعدة الشرعية:"العقل مناط التكليف".

(وإذا أخذ ما أوهب، أسقط ما أوجب)؛ لكن العقل ليس كل شيء، والبشر يتعاملون في معرفتهم من خلال (نظرية المعرفة) بأدوات أخرى، ومنها الخبر. فكثير منا يؤمن بوجود بلاد، أو مدن، أو بحار، أو أنهار، أو بحيرات، أو مخلوقات ولم يرها؛ لكنه سمع بها، ولا يستطيع إنكارها. فالمهم أن الخبر الصادق هو مصدر معرفة إنسانية.

أما النبي، فهو إنسان اصطفاه الله؛ ليبلغ، ويدعو، وليكون قدوة بين الناس يقتفون أثره؛ لأن الانسان باستمرار بحاجة إلى المثال والقدوة. حتى في العلوم، يضربون فيها الأمثال، ففي الرياضيات يشرحون الفكرة ويضربون عليها الامثلة؛ ولهذا كان الأنبياء؛ لأن الناس تريد من تقتدي به. أما العقل، فإن اختلاف عقول الناس، سيجعلهم أمام اختلافات جذرية، ربما يلفها الهوى، والمصلحة، والكيد؛ أما النبي، فهو القدوة المجردة عن المصلحة، والهوى، والأنا.

المبحث الثالث: شبهات تتعلق بالشيطان والشر:

11. لوكان الله موجوداً فلماذا يوجد الشر في هذه الحياة؟

استدل مايكل على قوله الإلحادي بأن الإله لو كان موجوداً؛ لغاب الشر الطبيعي من عواصف وزلازل وبراكين ونحوها.

إن الناظر المدقق في هذه الحياة؛ يجد الثنائيات فيها متقابلة. فهناك الذكر والأنثى، وهناك الليل والنهار، وهناك الحر والبرد، وهناك الغنى والفقر، وهناك الصحة والمرض، وهناك الخير والشر. نحن لم نصنع هذا الكون؛ بل صنعه الله، وهذه سنته في المتقابلات، وكما قال الشاعر: عرفت الشر لا للشر؛ لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الخير من الشر؛ يقع فيه. إن تصور الحياة بدون شر، هو تصور خيالي، لا علاقة له بواقع هذه الحياة، ولطالما طالَبَنَا الملحدون بالواقعية؛ فلماذا يذهبون الآن نحو المثالية؟! ثم ما هو المعيار أو الميزان في الخير والشر؟ وفق تصورنا الإسلامي، فإن الحياة للابتلاء والاختبار، وهذا لا يتم بالخير وحده. وما جاء الرسل، وما نزلت الكتب؛ إلا لزيادة مساحة الخير، وتقليل الشر؛ ولكن لا يمكن القضاء عليه نهائياً. انظروا إلى الشرور التي كانت موجودة في زمن الأنبياء: التمييز العنصري، والرق، واحتقار المرأة، وشيوع الربا، والسلب، والنهب، والسخرية، واستقواء القوي على الضعيف، والغش في التجارة، وعقوق الوالدين، وغيرها.جاء الدين ليحاربها، فقضى على الكثير منها؛ لكن بعضها مستمر وسيستمر، ومن لا يحب الشر؛ فليحاربه في نفسه، وفي بيته، وفي المجتمع، ولو كانت الحياة كلها خيراً لما كانت هناك حاجة للأنبياء والكتب والدعوة (Al-Bukhari, n.d, 4686; Muslim, n.d, 2583). أما الشر الطبيعي _ أي الأحداث السلبية الطبيعية _ فهذا أيضاً جزء من الابتلاء؛ وهي إشارات ربانية على أن هذه الدنيا ليست المستقر، بل هي ممر؛ وما يحدث من كوارث طبيعية هو دليل على الإرادة المطلقة لله تعالى، وأنه يفعل ما يشاء لحكم قد نعلمها وقد لا نعلمها.

12. قال مايكل: (الأدلة التجريبية لا تقبل وجود الشيطان) ص 69

إذا كانت التجارب تتعامل مع الواقع، فهذا يفرض عليها الإيمان بوجود الشيطان؛ لأن ذلك غير مستحيل عقلاً، ولأننا نلمس هذه الوسوسة التي يقوم بها في أنفسنا، فهو (وسواس)؛ ولكنه (خناس) أي يسكت ويخرس إذا ذكر الإنسانُ ربه، ثم ليس كل شيء في هذه الحياة خاضعاً للتجربة؛ فهل المشاعر والأحاسيس لها قياسات تجريبية، وهل الحب يخضع للرياضيات

والحسابات الرقمية، والتفاعلات المختبرية؟ إن التجربة هي إحدى مصادر المعرفة؛ لكنها ليست (المصدر) الوحيد. والذين أخذوا بالتجربة وحدها، سُموا (بالتجريبيين)؛ لكنهم أضاعوا مصادر أخرى تذكرها نظرية المعرفة؛ كالعقل، والخبر، والحس. والمهم عندنا، أننا حصلنا على معلومات وجود الشيطان من الله تعالى في القرآن الكريم، كما نلمس وجوده من تحريض النفس البشرية على الشر، وما دمنا قد آمنا بالقرآن، وأنه كلام الله؛ فإننا نؤمن بكل حرف فيه، وهذا يفرض علينا الإيمان بوجود الشيطان.

13. قال مايكل: (يميل الناس لتفسير ما يعجزون عنه بافتراض وجود الأشباح والقوى الخارقة) ص 70

استدل مايكل على إلحاده بأن بعض الناس يخدعون أنفسهم فيعللون مجريات الأحداث بوجود أشباح وقوى شريرة.

هذا الكون واسع لا نعرف حدوده، وفيه من المخلوقات ما نعرف وما لا نعرف. قبل بضع سنين اهتز العالم أمام جرثومة "الكورونا"، وما المطاعيم التي استقر عليها رجال الصحة والطب إلا لمواجهة الجراثيم والأمراض السارية؛ فهل من خلق كل هذا الكون عاجز عن خلق مخلوقات لا نراها؛ من ملائكة، وجن، وشياطين؟ أليس كلام الناس الذين رأوا الخوارق حجة في المنطق العقلي؟ حينما ضرب موسى - عليه السلام - البحر فانفلق أمام بني إسرائيل، وأمام فرعون وجنوده؛ فهل يمكن إنكار رؤية كل هؤلاء؟ وهل غرق الأرض أسطورة؛ بينما رآها نوح -عليه السلام- ومن معه في السفينة؟ لماذا نكذب من رأى بحجة أننا لم نر؟ إنه الخالق العظيم الذي لا يعجزه شيء؛ بل هو على كل شيء قدير.

14. قال مايكل: (ما سبب سماح الله المزعوم للشيطان وجماعاته بالحكم وجعل حياة الناس الصالحين بائسة في العالم) ص 121

استدل مايكل على إلحاده بأن الإله لو كان موجوداً؛ فلم سمح للشيطان بجعل الحياة بائسة في هذا العالم؟ من حيث المبدأ فإن الحياة ليست كلها بؤس وشقاء، بل فيها المتعة والفرح والسعادة كما فيها الألم والدموع والمنغصات؛ فالحياة ابتلاء، ومن مقتضيات ذلك وجود الخير والشر. وقائد الشر هو الشيطان وحزبه ومن سار خلفه من الطغاة، والجبابرة، والظالمين، والمتغطرسين، وحينما يكون هؤلاء فاعلين؛ فإنهم يؤذون الناس، وعلى الناس أن تعد القوة (وأعدوا) لمواجهتهم، وردعهم، وردهم إلى الصواب، فالصراع بين الحق والباطل مستمر ولا يمكن أن يتوقف، والمهم أن لا يتوقف أهل الحق عن المواجهة؛ لأن النصر حليفهم: "إن تنصروا الله ينصركم" محمد / 7 "وكان حقاً علينا نصر المؤمنين" الروم / 47، وفي الحديث الصحيح قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فإذا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ وكَذلكَ أَخْذُ رَبِّكَ إذا أَخَذَ القُرَى وهي ظالِمَةٌ إنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (Ashqar, 1979, 56).

15. قال مايكل: (أن الشيطان فرضية غير صحيحة، ولو افترضنا صحتها فلماذا يسمح الإله لهذا الشرير بالعمل؟) ص67

استدل مايكل على إلحاده أن فرضية وجود "الشيطان" الشرير كانت صحيحة فعلى نحو متناقض سيبدو أن هذا سيستلزم وينتج عنه أننا لا يمكننا أبداً أن نكون معللين للاعتقاد بصحتها.

إن وجود الشيطان ليس مستحيلاً في العقل والمنطق؛ بل يقرر العقل وجوده؛ لأن المخلوقات لا حصر لها ولا عد. وهناك مخلوقات نراها وأخرى لا نراها؛ بل إننا لا نزعم أننا نعرف حدوداً لهذا الكون. قبل اختراع المجاهر كانت هناك مخلوقات لا نراها، ثم لمّا تقدم العلم صرنا نرى "الفيروسات" ونصورها، وصار عندنا أجهزة الرنين لتحديد الخلل الخفي في جسم الإنسان، وفي المخلوقات الحيوانية والإنسانية هناك ما هو ضار وما هو مفيد، وكل ذلك ليتحقق الابتلاء.

فالخنزير موجود وأكله محرم، ولو كان حراماً غير موجود فلا معنى لذلك. والنحل قد يؤذي الإنسان؛ ولكنه يفيده بعسله الذي يستخدم لعلاج حالات مرضية كثيرة. والديدان شكلها قبيح؛ ولكننا نستخدمها في الصيد. وهكذا لو أردنا التتبع لوجدنا لكل شيء هدفاً مرسوماً، والشيطان من المخلوقات التي أوجدها الله للابتلاء، وهذا لا ينفي مسؤولية الإنسان؛ لأن الله طلب من الناس عدم الالتفات لوسوسة الشيطان، ومن غير المقبول تبرير السلوك السلبي بإغواء الشيطان؛ لأننا لا نقدم

الشيطان للمحاكم؛ بل نقدم فاعل الشر؛ أما الشيطان فصراعنا معه صراع شخصي. وإن وجود الشيطان ليس مستحيلاً عقلاً لأننا نشاهد مخلوقات متعددة؛ منها ما نراه ومنها ما لا نراه فما الدليل القطعي الذي يقود للإنكار ويعتمده الملحدون في ذلك؟

شبهات تتعلق بالدين نفسه:

16. الدين لا يتناسب مع العقل:

العقل جزء من الإنسان، ولا يحتكره مؤمن ولا ملحد؛ ولكن العقل الذي لم نره نعرفه بآثاره في السلوك، والانتاج، والإعمار، والصناعة، والتعامل الإنساني، وفي المؤمنين مخترعون ومبدعون وفي شتى التخصصات العلمية من رواد فضاء، وعلماء في الطبيعة، والفلسفة، والدين، والأخلاق، والإدارة، والصناعة، والزراعة، وفي شتى مواقعهم في العمل، سواء كانوا في أبسط الأعمال وفي القيادات الإدارية السياسية، والعسكرية، والعلمية، والتعلمية، والثقافية؛ لكن العقل ليس هو المصدر الوحيد للمعرفة الإنسانية، ولا يصدر الإنسان في كل سلوكاته عن العقل فحسب، بل هناك مصادر عدة ودوافع مختلفة.

17. للدين تفسيرات فلسنا أمام دين واحد:

هذا من مظاهر اختلافات الناس رغم امتلاكهم العقول؛ لكنها الخيارات غير الممنوعة. وقد جاء في الإسلام ما يؤكد على حرية الاعتقاد، في قوله تعالى: "لا إكراه في الدين" البقرة /256، ولا يمكن أن يكون الناس في دين واحد، وهذا جزء من الواقعية التي نتحدث عنها، بينما يريد الملحدون (الذين يذكرون الواقعية لكنهم يحلمون بالخيال) أن يكون الناس في دين واحد. إن الإسلام دين رب العالمين، أكد على هذه التعددية الواقعية، فقال تعالى: "لكم دينكم ولي دين" الكافرون/ 6.

18. في الدين أحكام وحشية (يقول مايكل: يحفل القرآن والأحاديث بأحكام وحشية)ص29

لست هنا بصدد الحديث عن الأديان كلها؛ لكن ما يهمني هو الحديث عن الإسلام؛ ففيه نصوص قرآنية وأحاديث نبوية، وقد استقر عندنا في القانون الجنائي الإسلامي، أن العقوبات ثلاث:

حدود، وقصاص، وتعزير. فالحدود: هي المقطوع بها. حيث حددها الله أو رسوله كما في عقوبة السارق، والزاني، وشارب الخمر. والقصاص عقوبة مثلية وفق القاعدة القرآنية والمنطقية (العين بالعين والسن بالسن) يقول تعالى: ((وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))المائدة / 45.

مثل جريمة القتل العمد. والتعزير: هو عقوبة تقديرية. حيث سلطة القضاء وفق حالة الفاعل، وظرفي الزمان والمكان والآثار. وأغلب العقوبات هي من هذا الباب، كالغرامة، والسجن، والنفي.

وإذا كان القطع أو الرجم في نظر الآخرين وحشية؛ فماذا يسمون الإعدامات الجماعية في عهد لينن وستالين، وماذا يسمون المقصلة الفرنسية، وماذا يسمون غرفة الغاز الأمريكية، وماذا يسمون الأفران النازية الألمانية؟ وماذا يسمون القنابل الأمريكية التي ألقيت على هيروشيما وناكازاكي؟ لكل ثقافة عقوباتها، فكيف إذا كانت هذه العقوبات من الله تعالى، الأعلم بما يناسب الناس، وما يردعهم عن الجريمة. وإن الناظر في العقوبات الوضعية يجد أنها غير رادعة. وكم هو سخيف أن تنادي كثيرٌ من الدول بإلغاء عقوبة الإعدام، في نسيان تام للضحية، بينما هم يتلفظون بالإنسانية والرحمة، وكأن الضحية ليست إنساناً، وكأننا نشجع على الجرائم، والاستخفاف بأمن الناس على أنفسهم وأموالهم، وإن الإنفاق على المساجين، الذين قاموا بالجرائم البشعة والمروعة، يجب أن يتحول للفقراء والمرضى عوض إنفاقه على هؤلاء المجرمين.

19. الدينُ يُفرق الناسَ:

هذه دعوى سخيفة؛ فهل الناس متفقون في ألوانهم وأشكالهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وقوانينهم،وأنظمتهم؟ وهل يريد الملحد أن يكون الناس في صف واحد، ومعتقد واحد؟ ألا ينادي الملحد بالحرية؟ إذا كان ينادي بإجبار الناس على معتقد

واحد؛ فهذه هي الدكتاتورية، أما إذا كانت الحرية، فهذا ما ندعو اليه، كما قال تعالى ((لا إكراه في الدين)) البقرة / 256، حتى الطبيعة ليست بلون واحد؛ بل التعددية نظام كوني طبيعي، فلو دخلت إلى حديقة، ولم يكن فيها إلا الورد الجوري؛ فهل هي أجمل، أم إذا كانت فيها ورود بألوان مختلفة؟ ثم تعددية الدين لا تمنع من حوار الأديان حضارياً؛ في تبادل للمعلومات والأفكار، والنقاش الحضاري، وهل الإلحاد جَمَعَ الناسَ؟! ألم يختلف رفاق الإلحاد فقاموا بقتل بعضهم، كما حصل في الاتحاد السوفيتي الذي أرسل من يغتال الشيوعي تروتسكي؟ وكما حصل في (اليمن الجنوبي) حيث حصدت مناجل الرفاق الشيوعيين وخلال أسبوعين خمسة عشر ألف قتيل من الشيوعيين الملحدين.

20. الدين نابع من الخوف

الإنسان كائن ضعيف، ومن مظاهر ضعفه وقوعه في الخوف، يخاف الموت، ويخاف الوحوش الكاسرة، ويخاف من المخاطر؛ كالفيضانات، والحروب، والزلازل، والمرض ونحوها؛ لكن ذلك كله لا يمنعه من مواجهة الحياة التي فيها السالب والموجب. إنه يحاول تقليل السلبيات، وزيادة الإيجابيات، والدين جزء من وسائل تقليل الخوف؛ بل الدين يؤمّن له مواجهة السلبيات، كما قال تعالى: "الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون" البقرة / 156.

إن الخوف دافع إيجابي نحو إعداد القوة، وتفهم الحياة، وأخذ الاحتياطات. وهذا في الناس كلهم، وكلهم يخاف؛ سواء كانوا مؤمنين أو ملحدين؛ ولكن الخوف لا يدفع لاختراع الدين، وهنا أتحدث عن الإسلام، فلو كان الدين قد تم اختراعه لمواجهة الخوف، لقبله الناس كلهم، بينما نجد في تاريخ الأنبياء كلهم مقاومة الأقوام، ووصلت المقاومة إلى الحروب، والدماء، والتهجير، والحصار، ومحاولات الاغتيال.

ثم لو كان الخوف هو الذي أوجد الدين؛ لصار الدين واحدًا؛ لأن الخوف عند الناس كلهم واحد وموجود، ثم إن الخوف لا يمكن أن يأتي بتفاصيل دقيقة عن الله، والكون، والحياة، والتشريع، والنفس البشرية، والقصص التاريخية، والقضايا العلمية، وهذا كل موجود في القرآن الكريم.

21. الحياة الآخرة أسطورة

وصف الحياة الآخرة بأنها أسطورة، هو أمر داخل في الادعاءات والشتائم لعقائد المؤمنين بها. وهو ادعاء لا يؤخر ولا يقدم؛ لأنه مجرد ادعاء قال به أقوام الأنبياء،كما قال تعالى: "وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً" الفرقان / 5، فهي عندكم أسطورة، وهي عندنا حقيقة يقبلها العقل. فمن آمن بالإله العادل؛ يوقن أن هذا الإله لابد أن يجمع الناس ليرد الحقوق لأصحابها، حيث نجد الظلم في الدنيا يملأ الآفاق. وعلى سبيل المثال: مسألة القاتل والمقتول، قد تقع جريمة وتذهب الضحية، ولم يتم اكتشاف القاتل؛ فهل هذا الإله العادل يقبل ذلك؟ لابد أن يجمعهما مرة أخرى للقصاص، كما قال تعالى: "ولا يظلم ربك أحداً" الكهف / 29، ولهذا سمي يوم القيامة في القرآن الكريم بيوم الحاقة؛ أي اليوم الذي تعود فيه الحقوق لأصحابها، وقد جاء في القرآن الكريم "لا ظلم اليوم" غافر / 17، أي يوم القيامة، بينما الظلم قبله موجود.

22. اللغة الدينية غير قابلة للتأكيد

لغة الإسلام واضحة، حيث لدينا مقامان: مقام الألوهية: وهذا لله الواحد الأحد.لا يشاركه فيه شيء. ومقام العبودية: وهو لكل مخلوقات الله؛ من كواكب، وطبيعة، وبشر، وغيرها. وفي هذا المقام، يخضع الناس جميعهم للنواميس، والسنن التي أوجدها الله، وهذا هو معنى العبودية. وهناك عبودية اختيارية، إنْ قرر الإنسان أن يؤمن ويتبع الحق. وفي هذا الدين أركان إيمان، وأركان إسلام، ودخول الدين أمر اختياري، وهذا الدين نظام حياة يحكم علاقة الإنسان بربه، وبغيره من الناس، وبنفسه، إنه دين يدعو إلى نظافة في الإدارة والاقتصاد، كما يدعو إلى العمل والإنتاج، ويدعو للجمع بين الدنيا والآخرة. أما الغيبيات فهذه خبرية، وليس للعقل فيها دور سوى التأكد من الخبر، أو معنى الخبر.

23. قال مايكل إن مفهوم الإيمان غير متسق، انظر الفصل 11

لابد من بيان معنى (غير متسق)، ربما يعني أن مفهوم الايمان متعارض ومتناقض. وإذا كان هذا هو المقصود، فهو كلام غير صحيح. فإذا كان الدين من عند الله، فهو متناسق؛ لأن صنع الله دقيق. فهل المقصود حديث الدين عن الحق بينما الباطل موجود؟ وهل المقصود حديث الدين عن العدل بينما الظلم موجود؟ وحديث الدين عن الخير والشر موجود؟ هذا ليس تناقضاً؛ بل هو من مقتضيات "الابتلاء". وهو أمر بيّنه القرآن الكريم كما قال تعالى: "ونبلوكم بالخير والشر فتنة" الأنبياء / 35، وقال: "الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم" الملك / 2، وقال: "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون" العنكبوت / 2، والناس كلهم في ابتلاء، سواء كانوا أغنياء أو فقراء، أصحاء أو مرضى، حكاماً أو محكومين، صغاراً أو كباراً.

24. قال مايكل: (الجدلية الغائية المدعاة لصالح الله يمكن أن تكون ضد الإيمان) انظر الفصل12

استدل مايكل على إلحاده بأن الكون الكبير على افتراض أنه مخلوق، فإنه مصنوع من كائنات عاملة وبالتالي لا حجة للمؤمنين في خلق الكون إرجاع ذلك إلى الإله.

إن ما يطرحه مايكل، مجرد دعوى وتخريجة يريها لتتناسب مع إلحاده، فالمهم أنه لا يريد الإيمان. وليس بالضرورة إذا قلنا إن الحياة لها غاية، وهي الابتلاء، وأن هذا الابتلاء من الله؛ أن يكون ذلك لصالح الإلحاد؛ بل هذا الابتلاء يقع حتى على الملحدين؛ من فقر، أو ضعف، أو خوف، أو مرض، ولا تفسير لهم لذلك؛ فهل الغاية من الوجود وفق التفسير الديني فرضت الفقر، أم طلبت العمل والمدافعة؟ وهل الإلحاد ألغى وجود السلبيات؟ على العكس، فغاية الوجود لا تفسير لها إلا بالدين؛ ولهذا راح ملحدون يقولون: إن الطبيعة تخبط خبط عشواء، بينما نحن نرى أن الكون يقوم على الدقة والتناسق، ومن ذلك وجود المتقابلات؛ من خير وشر، وفقر وغنى، وصحة ومرض، وظلم وعدل، وبغير تفسير الدين لا نستطيع فهم الحياة والغاية منها. ولم يقدم الملحدون أي تفسير.

25. قال مايكل: (الإيمان تقليد كما كان حال إسلام كل قبيلة بإسلام واحد منها) ص 60

نعم حينما أسلم - على سبيل المثال - أبو ذر رجع إلى قبيلته، واستطاع أن يقنعهم بدخول الإسلام، فحولهم من قطاع طرق ولصوص إلى مؤمنين وأصحاب مبادئ؛ فهل هذا معيار أم إنجاز؟ وفي المقابل، فإننا نعلم أن من الدعاة - بل والأنبياء - من لم يستجب له إلا القليل، كما جاء في قصة النبي نوح "وما آمن معه إلا قليل" هود/ 40، رغم أنه استمر في دعوة قومه 950 سنة، وها هو النبي ابراهيم -عليه السلام- لم يجد من يتبعه سوى ابن أخيه "فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ" العنكبوت/ 26، وها هو النبي الخاتم محمد -صلى الله عليه وسلم- يحاربه أقاربه، مثل أبي لهب عمه "تبت يدا أبي لهب وتب" المسد/ 1، وفي واقعنا اليوم نجد المؤمن ربما استجاب له أقاربه، وربما عارضوه.

حينما جاء الإسلام، قدم لهم الولاء للعقيدة والفكرة بدل الولاء للقبيلة بطريقة العصبية. وها هو الصحابي أبو عبيدة يقاتل والده في المعركة. فليس صحيحاً أن المسألة تقليد، وقد نص علماء العقيدة الإسلامية أن إيمان المقلد غير مقبول، وأن العقيدة تؤخذ عن علم "فاعلم أنه لا إله إلا الله" الحج / 62.

26. قال مايكل: (ما يسمى بالميل البشري للدين الفطرة هو أمر قائم على التهيئة والتلقين) ص 69

هذا غير صحيح، رغم أهمية التربية والتعليم، والتوجيه؛ لكن الإنسان من داخله يشعر بذلك. ووجدنا "الأمم جميعاً اتخذت معبودات" (Ashqar, 1979, 56) وليس بعيداً عن علمنا قصة ابن طفيل (حي بن يقظان)، الذي ذكر أن هذا الطفل الذي وُضع في الغابة بعيداً عن المؤثرات البشرية، وجد نفسه بالتأمل أنه تحت رحمة الله، وأن هناك قوة تدير هذا الكون لما رأى الماء ينزل في فصل الشتاء، ووجد الشمس تشرق عليه، فيأخذ من دفئها. كل الناس يشعرون بفطرتهم. أليس حب الخير موجوداً عند الناس جميعهم؟ أما من انحرف فهذا شيء آخر، رغم أنه وهو يرتكب جريمة - مثلاً- يعلم أنه مجرم، وأنه معتدٍ،وأنه ليس صاحب حق في المال المسروق، وأنه ظالم للنفس البشرية التي قتلها، كما قال تعالى: "وجحدوا بها

واستيقنتها أنفسهم" النمل/ 14، وقال: "فطرة الله التي فطر الناس عليها" الروم/ 30، فأصحاب الفطرة السليمة، يحبون الخير، والبناء، والإعمار، والإحسان، والنظافة، والنظام، والمساعدة، وفعل الإيجابيات، ويكرهون الدمار، والحروب، والقتل، والسرقة، والزنا، واللواط، والمثلية، والأخلاق المنحرفة، والتكبر، والطغيان.

والدليل على فطرية التدين؛ أننا نجده في الشعوب كلها، وكذا القارات، والبلدان، والذوات، والطبقات من الجنسين. نجد التدين في الفقراء والأغنياء، نجده في الرجال والنساء، نجده في البيض والسود، نجده في العلماء وذوي التعليم المحدود، ومن المؤكد أنه لم يسر كلهم في المقتضى الديني بقناعات جدلية فلسفية منطقية؛ بل جزء كبير منهم بفطرته التي قبلت هذا، فتصالح مع ذاته، بينما المكابر المعاند ربما ذهب إلى الانتحار، أو المخدرات، أو العذاب النفسي.

27. قال مايكل: (لو كانت الفطرة حقاً لما وجدنا إلحاداً منتشراً في الدول الإسكندنافية ونصف بريطانيا وفرنسا وألمانيا والشعوب الآسيوية ذات الأغلبية البوذية) ص 70

نعم، هناك إلحاد، قدمنا عنه في تاريخ الإلحاد؛ لكنها القلة القليلة، وربما زادت مساحة الإلحاد؛ لضعف الحوارات الدينية، ولانشغال الناس بالماديات، وربما لوجود أناس يمثلون ظاهرياً الدين، بينما سلوكهم منفر. كما حصل في أوروبا في العصور الوسطى، حيث طغت الكنيسة، فهرب الناس من الدين، وربما كان الانبهار بالعلم عند البعض دافعا للإلحاد، وربما كان دعاة الإلحاد قد نشطوا وصارت دول تدعو للإلحاد، مثل الاتحاد السوفيتي السابق والصين، بينما دول أخرى اتجهت نحو العلمانية، التي حجبت رؤية الناس للدين مطبقاً مرئياً، ولهذا نجد القرآن الكريم يطالبنا أن نقول ونفعل: "لِمَ تقولون ما لا تفعلون" الصف/2، وجعل لنا قدوة مطلقة هو محمد -صلى الله عليه وسلم-: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" الأحزاب/ 21، وإن عودة كثير من الملحدين تؤكد أن الإلحاد قشره خارجية، إذا وجدت من يعالجها ويزيلها. وكلنا يعرف كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) ونسمع بجارودي، وجاجارين، ومصطفى محمود، ومحمد عمارة، وخالد محمد خالد، وعادل حسين، وغيرهم كثير، ممن كانوا على إلحاد أو عدم فهم، وإذ بهم يعودون إلى الصواب، ويصبحون دعاة للدين والفطرة.

المبحث الرابع: شبهات تتعلق بالملحدين

28. الملحدون أذكياء

الذكاء صفة قد تلحق أي إنسان، بغض النظر عن عقيدته. وجزء منه بعامل وراثي، وجزء آخر يتعلق بالاكتساب البيئي والتعليمي. ومن قال إن اللص والمجرم لا يتحلى بالذكاء، حيث التخطيط والتدبير؛ ولكنه في الاتجاه السلبي.لا يذكر المؤمنون بالله أن الملحدين أغبياء، ولا يقولون ذلك؛ ولكنه الذكاء الذي لم يثمر في النظرة الكلية للوجود والحياة، وتعليلها. ثم من قال إن المؤمنين بغير ذكاء، فهناك الملايين من الأذكياء الذين ينتمون إلى الإيمان بوجود الله من شتى الأديان والفلسفات، ومن أهل مختلف التخصصات، وقد بث بعضهم إيمانه من خلال تخصصه، كما هو الحال في كتاب "الله يتجلى في عصر العلم".

29. علل الإلحاد أفضل من علل الإيمان

هذا ادعاء وزعم، أو هكذا هو في نظرك أيها الملحد؛ ولكن الأدلة لدى أهل الإيمان أكثر من أن تُحصى، كما جاء في القرآن الكريم: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم" فصلت / 53، وكما قال الشاعر:

أحكم الناس في الحياة أناس عللوها وأحسنوا التعليلا.

30. الإلحاد علم وأدلة

هذه دعوى مجردة عن الأدلة، فأين العلم، وأين الأدلة في الإلحاد؟ العلم يعني اليقين، فما مصدرهم في هذا اليقين؟ إنهم يعتمدون على الشك، بينما العقل يقرر أن الشك والظن لا يغني من الحق شيئاً، وكذلك القرآن، قال تعالى: "قل هاتوا

برهانكم إن كنتم صادقين" النمل / 64، وقال تعالى: "أفي الله شك" إبراهيم / 15، وقال: "ذلك الكتاب لا ريب فيه" البقرة / 2، فهل عدم رؤية الله تعني الإلحاد، وتعني العلم، وتعني الأدلة؟ بالطبع لا، لأن العقل يقرر أن عدم الرؤية لا يعني عدم الوجود.

31. فلاسفة أقطاب كانوا ملحدين

نعم، هناك فلاسفة ملحدون، وفي المقابل هناك فلاسفة مؤمنون بدرجات متفاوتة في مضمون الإيمان، فمنهم الربوبيون، ومنهم الذين وحّدوا، وهناك فلاسفة مسلمون، وفلاسفة نصارى، فلاسفة يهود، وفلاسفة صينيون وهنود، ولا يختلف الأمر عن بقية الناس؛ بل كما الفلاسفة منقسمون، فعلماء الطبيعة منقسمون، وعلماء الاجتماع والعلوم الإنسانية منقسمون، وهذا واقع البشر كما قال تعالى: "ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك" هود / 119. وليس بالضرورة اقتران الإلحاد بالفلسفة، وهذا ما فهمته أمة الإسلام، إذ يقول العقاد: "كانت دولة الإسلام أرحب الدول صدرًا، وأسمحها فكرًا، مع الفلسفة على عمومها، والفلسفة اليونانية في جملتها ... وذكر تعرض الفلاسفة للاضطهاد في بلادهم. فسقراط قضي عليه بالموت، وأفلاطون بيع في سوق العبيد، وأرسطو نجا بنفسه من أثينا، حتى لا يتعرض لمصير سقراط، الذي رموه في البحر بتهمة الإلحاد، وفيثاغورس مات قتيلاً، وقتل زينون نفسه" (Al-Aqqad, 1969, 49).

32. أكثر الناس ملحدون

هذا كلام عارٍ عن الصحة، فما المصدر الإحصائي الذي قرر ذلك؟ بل الثابت هو العكس، حيث يشكل المسيحيون 34% من سكان العالم، يليهم المسلمون 27% من سكان العالم، بينما تصل نسبة اليهود إلى 0.2%، في حين إن الهندوس 15-16٪، والبوذيين 7% إلى 8%، وديانات أخرى متفرقة.

في عهد قوة الاتحاد السوفياتي المنهار، كان الشيوعيون ثلاثمائة ألف، بينما السكان 300 مليون، وها هي أكبر دولة في العالم من حيث عدد السكان (الصين) فيها ملحدون ومسيحيون وبوذيون وكونفشيون وطاويون، وإن كانت السيطرة للحزب الشيوعي وهي سيطرة سياسية لا تدل على أن أغلبية الناس ملحدة.

يقول الشيخ السيد سابق: "نشر الدكتور دينرت (Denert) بحثاً، حلل فيه الآراء الفلسفية لأكابر العلماء، بقصد أن يعرف عقائدهم، فتبين له من دراسة 290 عالمًا، أنهم بالنسبة للعقيدة الدينية كما يأتي:

- 242 من هؤلاء أعلنوا إيمانهم الكامل بالله.
- 28 لم يصلوا إلى عقيدة.
- 20 لم يهتموا بالتفكير الديني (Sabq, n.d, 49).

وقد ذكر مركز بيو للأبحاث عام 2012م أن نسبة الملحدين 16في المائة، وذكر عالما الاجتماع "آرييلا كيزار وجوهام نافارو" عام 2024م أن عددهم 450 مليون، وذكرت ويكيبيديا أن عددهم 500-750 مليون، والعدد اليقيني هو 200-240 مليون

33. الدول الملحدة متقدمة اقتصاديًا وصناعيًا

التقدم العلمي والصناعي مباح للجميع، أيًا كانت انتماءات الدول فكرياً، أو سياسياً، أو عقائدياً، فهذه علوم يقودها العقل البشري، الذي يوازن في الاقتصاد بين الإيرادات والنفقات، فيقلل نفقاته، مما يجعله ذلك في دائرة الوفرة، وبهذا لا يقع تحت طائلة الديون التي تسبب انهيارات اقتصادية، وموارد الدولة - أيّة دولة - تعتمد على ثرواتها، وانتاجها، وعمل أبنائها، ولا علاقة لهذا بإلحاد على الإطلاق. فهنالك دول ليست ملحدة؛ ولكنها متقدمة اقتصادياً، كما هو الحال في ألمانيا، وحتى الدول التي سموها ملحدة - مثل الصين - هي في الحقيقة دولة عمل، ولا تلتزم، ولا تلزم أفرادها بدين، رغم أنها ترفع شعار الشيوعية؛ لكن الناس منتمون إلى الإسلام، وإلى البوذية، وإلى الكونفوشية، وإلى الطاوية. وإذا كان المقصود

الإتحاد السوفيتي، بأنه تقدم رغم إلحاده، فهذا لا يعني إلحاد الناس؛ حيث منهم المسلمون، والمسيحيون، واليهود، بينما أعضاء الحزب الشيوعي بضع مئات من الألوف، في دولة يبلغ عدد سكانها ثلاثمائة مليون وأكثر.

ودولة الإسلام، هي دولة إنتاج لا دولة استهلاك، وهي دولة تعتمد اقتصادها الذاتي، الذي لا يتبع شرقاً ولا غرباً؛ بل له اقتصاد مستقل. ويجمع بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، ودور الدين الإسلامي هو الحض على العمل: "وقل اعملوا" التوبة / 105، وعلى التوسط في الإنفاق: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط" الإسراء / 29، وقد جاء في الأحاديث (لئن يأخذَ أحدُكم حبلَهُ على ظهْرِهِ، فيأتي بحزمةٍ منَ الحطبِ، فيبيعُها فيكُفَّ اللهُ بها وجهَهُ؛ خيرٌ مِنْ أنْ يسألَ الناسَ؛ أعطوْهُ أو منعوهُ) (Al-Bukhari, n.d, 1470) وكذلك جاء (اليد العليا خير من اليد السفلى) (Al-Bukhari, n.d, 1427; Muslim, n.d, 1034) وهذا حض واضح على العمل، وامتلاك المال، وعدم التسول، وانتظار عطايا الناس. وجاء في الأثر ذم القاعدين عن العمل (إني لأرى الرجل فيعجبني، فإذا سألت عنه، فقيل لا حرفة له؛ سقط من عيني) هذا كلام الخليفة الفاروق (Ibn Al-Jawzi, 1980, 202).

- شبهات تتعلق بالأخلاق:

34. الملحد خلوق، يقول مايكل قبول الإلحاد لا يستلزم فوضى أخلاقية ص33

استدل مايكل على بطلان أن الإنسان الملحد قد يكون خلوقاً دون الحاجة إلى الدين.

أقول: نحن أهل الإيمان لا ننكر وجود الأخلاق عند غيرنا، فالأخلاق صفة إنسانية نسبية، ولم ندع أن الدين يخلق الأخلاق.

ما قلناه في الذكاء، نقوله في الأخلاق، فكل الناس لديهم أخلاق بدرجات متفاوتة، سواء كانوا مؤمنين أو غير ذلك؛ ولهذا فإن النبي محمداً -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (Al-Bayhaqi, 2011; Albani, 1979). فالأخلاق موجودة، والدين يباركها، ويطورها، ويعمقها، ويثبتها. وهي دالة على الله، يقول الشيخ سعيد حوى: "وفي النفس البشرية أخلاقها وعجائبها، دليل على الله" (Hawwa, 1969, 65). ولهذا، فقد يكون هناك ملحد صاحب أخلاق، وقد يكون هناك مؤمن متدني الأخلاق. فالأخلاق تربية، وممارسة، وتعليم؛ ولهذا نرى الأمم تسن القوانين لتضبط السلوك البشري، حتى لا يتجاوز أحد على أحد، وقد مدح النبيُ محمدٌ صلى الله عليه وسلم عدل الملك النجاشي، وقال: "إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده" (Al-Bayhaqi, 2011, 17793). والمهم أن الدين يدعو إلى ثبات الأخلاق، لا أن تكون نسبية أو موسمية.

- شبهات تتعلق بالمؤمنين:

35. عبء الإثبات على المؤمنين

على فرض صحة هذا، فالمؤمنون يقدمون الأدلة؛ في الآفاق، والأنفس، والثمرات. وأول الأدلة هي الفطرة التي فطر عليها الناس، كما قال تعإلى: "فطرة الله التي فطر الناس عليها" الروم / 30، وقال: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم" فصلت / 53، وقال: "أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون" الطور/ 35، وفي آيات كثيرة، تحت عنوان: (ومن آياته)، شملت الليل والنهار، والشمس والقمر، والبحار والكواكب والكائنات، حيث شمل الزمان والمكان والمخلوقات.

ولو أردنا أن ننظر في واقع البشر؛ لوجدنا أغلب المليارات الثمانية من سكان الأرض مؤمنين، بغض النظر عن الاتجاه الذي ساروا فيه. فالمهم أنهم يؤمنون بقوة خلقت هذا الكون، ولا يقولون بالإلحاد؛ إذ الملحدون في الواقع البشري قلّة لا تُذكر، فهل واقع هؤلاء البشر الأغلبية لا اعتبار له عند الملحدين؟ هل كل الناس في دائرة الخطأ؛ بينما الملحدون في دائرة الصواب؟

36. الدين منفعة

الدين عقيدة وشريعة وأخلاق، وفي كل ذلك منافع عديدة؛ منها الاستقرار النفسي، والعمل والجد والإنتاج، وكل ذلك لتحقيق مصلحة الإنسان، ومنفعته في الدنيا والآخرة. المنفعة ليست هي المنشأة للدين؛ لكن الدين يدعو إلى المنفعة، كما قال تعإلى:" فأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" الرعد / 17، وحتى في فريضة الحج في الإسلام: "ليشهدوا منافع لهم" الحج / 28، فلا تناقض في ديننا بين الشعيرة والمنفعة، ما دام الأمر ضمن الأحكام الشرعية؛ لأن العبادة عندنا هي كل عمل فيه النية الصالحة، وطاعة الله، ولا حياة للإنسان بدون منفعة، وهي أمر غير مستنكر في الشريعة إلا إذا كان بطريق منحرف.

37. التدين عمل تقليدي

العمل التقليدي، ليس مرفوضًا بصورة دائمة، ومعنى العمل التقليدي، الذي فيه تقليد. والتقليد بمعنى أن يكون الإنسان إمّعة، فهذا منهي عنه في ديننا، أما التقليد لما هو خير وفيه فائدة، فهذا موضع فخر واعتزاز؛ لأن الإنسان يحتاج إلى المثال والقدوة، وكل شعوب الأرض تبحث عما هو مفيد. والإنسان مدني بالطبع، والطباع تسرق من بعضها. إن تديننا ليس عن غفلة؛ بل عن قناعة وأدلة، وليس كل موروث خطأ، ولا كل جديد مفيد؛ ولهذا جاء في القرآن الكريم: "فاعلم أنه لا إله إلا الله" الحج / 62، أي: خذ (لا إله إلا الله) عن علم. وقد تحدث علماء مسلمون عن (النظر)، الذي يزيد مساحة القناعة، وقوتها، وثباتها؛ أما عقائد الآخرين، ففيها التقليد الأعمى، حيث شنّ القرآن الكريم عليه هجوماً، فقال ساخراً بهم إذ قالوا "إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون" الزخرف / 22، فنعى عليهم قولهم هذا، ونقدهم نقدًا لاذعاً، فقال: "أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون" البقرة / 170.

38. قال مايكل: (اعتقاد المؤمنين قائم على أسباب انتفاعية) الفصل التاسع ص61.

استدل مايكل في نقده الإيمان أن المؤمنين ذهبوا في هذا الاتجاه بدافع المنفعة.

لقد ظهر في بلد مايكل أمريكا، مذهب النفعية، وكل العالم المادي اليوم يبحث عن منافعه ومصالحه، وهذا ليس بعيب، ولا نُعير به؛ ولهذا فإن العبادة في الإسلام تقوم على ثلاثة أسس: الحب لله، والخوف من العقاب، والطمع بالجائزة، وهي الجنة. وهذا من واقعية الإسلام، أنه يخاطب الإنسان بما يمس نفسيته. والنفوس البشرية تحب الخير لنفسها، وتتمنى ابتعاد الشر عنها. ألا نرى الطلبة يحبون التفوق، وأن الآباء يحبون لأبنائهم الإبداع والتميز، وأن الدول تقوم بتكريم المتميزين في العلم، والرياضة، والوطنية، والشجاعة، والإبداع؛ ولهذا فإننا، لا نتهرب من الإقرار بأن اعتقادنا عن قناعة ورغبة في الجنة، وإصرار على الابتعاد عن النار، وأننا نريد ربنا، ونحبه.

وإذا كان الإيمان يحقق منافع، ففي المقابل، نجد ملحدين ذهبوا في اتجاه الإلحاد، لمنافع سلطوية أو علمية أو لحب الظهور، ورأينا هذا في رغبة بعض الطلبة أيام السوفييت في المنح الدراسية فأعلنوا إلحادهم مجاراة لتلك الدولة.

39. قال مايكل (المسنون يلجأون للدين عاطفياً وخوفاً) ص65

هذا صحيح من جانب؛ ولكن لايعني أن من يأخذ بالعقيدة في الله هم المسنون وكبار السن؛ بل وجدنا الشباب عبر التاريخ يلتحقون بالدين والاعتقاد التوحيدي قناعة، رغم أنهم يحملون قوة الشهوة،وقوة التطلع والطموح الدنيوي؛ لكن الإسلام لايغلق باب الالتزام أمام أحد، فباب التوبة مفتوح. فمن انحرف في شبابه، وأراد الرجوع في كهولته، فمرحباً به، وهذا من إنسانية الإسلام الذي لايغلق الباب، ولا يضع اليأس أمام الخلق، فهذا الكهل إنسان، ومن الضروري احترامه، وعدم صده عن التوبة والالتزام؛ أما العناد والاستكبار والتعجرف، فهذا غير مقبول، ولامنطقي، ولايمدح صاحبه.

الخاتمة "النتائج والتوصيات"

بعد هذه الجولة المختصرة والسريعة في كتاب "مايكل مارتن" تبين لي:

1- أن هذا الفيلسوف سار على نهج ملحدين سبقوه، فالشبهات هي هي؛ لأن الإلحاد بضاعة واحدة، رغم اختلاف اللغات والحضارات والفلسفات.

2- أن ليس كل فيلسوف ملحدًا؛ مما يؤكد أن تذرع الملحدين بالعقل ليس صحيحاً؛ لأن العقل مشترك إنساني؛ لكنه قد لا يقود إلى النتيجة نفسها. من هنا، وجدنا فلاسفة مؤمنين، كما وجدنا فلاسفة ملحدين. ولو كان النظر في الكون يقود إلى نتيجة واحدة؛ لما كان الناس مختلفين؛ لأن الكون واحد.

3- أن تذرع "مايكل" بعدم معرفة الناس سر الذات الإلهية، لا يجعل من كلامه كلاماً صحيحاً؛ لأن الإنسان يجهل أشياء كثيرة في الكون، رغم وجودها. ولعل أول ما يجب أن يقر به الملحد، أن العقل البشري لم يصل إلى تحديد الكون.

4- أن المعرفة الإنسانية ليست محصورة في مصدر واحد؛ ولهذا كان المؤمنون أوسع إدراكاً من الملحدين، الذين حصروا الأمر بالعقل، وأن كل دارسي نظرية المعرفة لا يتحدثون عن مصدر واحد.

5- أنه يجب على الشباب المسلم التسلح بالأدلة العقلية والنقلية والمنطقية. وهو أمر قام به علماؤنا يوم تحدثوا عن النظر، ودرسوا الفلسفة، وردوا على المتهافت منها. ويكفي أن الحضارة الإسلامية لم تحرق وتفني الفلسفة اليونانية، وغيرها؛ بل ترجموها وردوا عليها.وهذا ما نريده من شبابنا عبر تسلحهم بالمهارات الحوارية، كي يساهموا في إنقاذ من ضلوا، أو تم تضليلهم.

6- أن على الجامعات العربية والإسلامية تضمين خططها الدراسية مادة لمناقشة حجج الإلحاد والرد عليها بمنطق إسلامي عقلي شرعي، وذلك لتحصين الشباب ليكونوا منافحين عن الحق والحقيقة.

7- أنه ينبغي الاستفادة من الإلكترونيات وذلك بإنشاء مواقع لهذا الغرض حيث صار العالم قرية لتكون مواقع مواجهة لمواقع نشر الإلحاد.وقد ذكر عبدالله العجيري في كتابه "ميليشيا الإلحاد" ص 37 عدداً من المواقع الإلكترونية الإلحادية مثل:

Firf.org atheists.org reddit.com r atheism

Richarddawkins.net scienceblogs.

Response to Michael Martin's Statements in His Book Atheism: A Philosophical Explanation from an Islamic Perspective

Bassam A. Alamoush

Department of Fundamentals of Religion, Faculty of Sharia, University of Jordan.

Abstract

This study deals with the atheistic ideas put forward by the American philosopher, Michael Martin, and discusses them with the same rational logic that Michael and those like him claim, as these people think that the people of faith are a group of naive people who repeat what they inherited without contemplation or reason. This is a claim that is contradicted by the Qur'anic texts, the prophetic hadiths, and reality. The researcher is concerned only with the Islamic thoughts and views though the idea of faith is a human idea that is consistent with human nature, but the contents of faith are different in Islam compared with other doctrines. The researcher focused on the basic ideas and suspicions and responded to them through Islamic texts and logical evidence.

Keywords: Philosophy of atheism, Doubts about atheism, Differences in the contents of faith.

الهوامش

(1) مراجع لتاريخ الإلحاد:

1. الندوي، محمد تقي،(عصر الإلحاد: خلفيته التاريخية وبداية نهايته)، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ترجمة: مقتدى ياسين، تقديم: عبدالحليم سويس.

2.عبدالرحيم، محمود، (قصة الإلحاد " قراءة تاريخية للإلحاد").

3.ثروت، القس الدكتور أمير، (الله والإلحاد)، مطبعة سان مارك.

4.عوض، رمسيس، (الإلحاد في الغرب)، ط1997،1م، سينا للنشر، القاهرة، الانتشار العربي، بيروت.

5. شريف، عمرو، (الإلحاد مشكلة نفسية)، ط1، 2016م، نيويورك للنشر والتوزيع، القاهرة.

6.عون، مشير، (نظرات في الفكر الإلحادي الحديث).

7.المحمدي، عبدالعزيز، (الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه).

8.الشهرستاني، (الملل والنحل).

9.الإلحاد الجديد.

10.ترجمة من الإنجليزية للعربية (المقال الرئيس: الإلحاد الجديد):

الإلحاد الجديد: هو حركة بين بعض الكتاب الملحدين في أوائل القرن الحادي والعشرين، الذين دافعوا عن الرأي القائل: إنه "لا ينبغي التسامح مع الدين؛ ولكن يجب مواجهته، وانتقاده، وكشفه بالحجة العقلانية أينما ظهر تأثيره". ترتبط الحركة عادة باسم "هاريس ودانيال دينيت، وريتشارد دوكنز، وفيكتور جيه ستينجر، وكريستوفر هيتشنز"، وإلى حد ما "أيان هيرسي" وهناك العديد من الكتب الأكثر مبيعاً لهؤلاء المؤلفين، التي نشرت بين عامي (2004) و(2007)؛ حيث تشكل أساساً لكثير من مناقشة الإلحاد "الجديد". وتعد الأحداث الإرهابية ذات الدوافع الدينية في (11 سبتمبر) الدافع المحرك لعمل معهد ديسكفري لتغيير منهج العلوم الأمريكي؛ ليشمل الأفكار الخلقية، جنباً إلى جنب مع دعم هذه الأفكار من "جورج دبليو بوش" في (2005م). وقد تم الاستشهاد بها من قبل مؤلفين مثل: "هاريس ودينييت ودوكنز وستينجر وهيتشينز" كدليل على الحاجة إلى التحرك نحو مجتمع أكثر علمانية.

(2) هناك مراجع كثيرة عن "مايكل مارتن" بين مؤيد ومعارض، مثل: "لودر جفري، وجوستن، وفلو أنتوني، وفرناند فل"، وغيرهم.

(3) من يقرأ الكتاب يدرك عمق العلم المنطقي لدى علماء المسلمين.

المصادر والمراجع

الأشقر، عمر، (1979م). **العقيدة في الله**، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1.

الألباني، محمد ناصر الدين، (1979م). **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 2.

البخاري، محمد بن اسماعيل، (د.ت). **الجامع الصحيح**، السلفية.

البيهقي، أحمد بن الحسين، (2011م). **السنن الكبرى**، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط1.

ابن تيمية، أحمد عبدالحليم، (1977م). **دار ترجمان السنة**، لاهور، باكستان، ط3.

ابن الجوزي، عبدالرحمن، (1980م). **عمر بن الخطاب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

ابن الحجاج، مسلم، (د.ت). **صحيح مسلم**، دار الفكر.

حوى، سعيد، (1969م). **الله جل جلاله**، دار الدعوة، بيروت، ط1.

الخطيب، عبدالكريم، (1975م). **الله ذاتاً وموضوعاً**، دار المعرفة، بيروت، ط3.

سابق، سيد، (د.ت). **العقائد الإسلامية**، دار الكتاب العربي، بيروت.

شريف، عمرو، (1977م). **خرافة الإلحاد**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1.

الصدر، محمد باقر، (1977م). **الأسس المنطقية للاستقراء**، دار التعارف، بيروت، ط2.

طلعت، هيثم، (2014م). **موسوعة الرد على الملحدين**، دار الكاتب، الإسماعيلية، ط1.

طلعت، هيثم، (2021م). **الإسلام والإلحاد وجهاً لوجه**، جمعية الدعوة، الرياض.

عامري، سامي، (2019م). **براهين وجود الله**، مركز تكوين.

عامري، سامي، (2016م). **مشكلة الشر ووجود الله**، مركز تكوين.

العجيري، عبدالله بن صالح، (2016م). **شموع النهار**، مركز تكوين.

العجيري، عبدالله بن صالح، (2014م). **ميليشيا الإلحاد**، مركز تكوين، ط1.

العقاد، عباس محمود، (1969م). **التفكير فريضة إسلامية**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2.

العموش، بسام، (2020م). **الرد على الملحدين، منشورات رابطة علماء الأردن**، ط1.

محمود، مصطفى، (2005م). **حوار مع صديقي الملحد**، دار أخبار اليوم.

محمود، مصطفى، (1970م). **رحلتي من الشك إلى الإيمان**، ديوان للنشر، ط1.

ياسين، محمد نعيم، (2001م). **مباحث في العقل**، دار النفائس، الأردن، ط1.

List of References:

Al-Ajari, Abdullah bin Saleh, (2014). *Atheism Militia*, Takween Center, 1st ed.

Al-Ajari, Abdullah bin Saleh, (2016). *Candles of the Day*, Takween Center.

Al-Amoush, Bassam, (2020). *Reply to atheists*, Publications of the Association of Scholars of Jordan, 1st ed.

Al-Aqqad, Abbas Mahmoud, (1969). *Thinking is an Islamic Duty*, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 2nd ed.

Albani, Muhammad Nasir al-Din, (1979). *The Series of Authentic Hadiths*, Islamic Office, Beirut, 2nd ed.

Al-Bayhaqi, Ahmad bin Al-Hussein, (2011). *Al-Sunan Al-Kubra*, edited by Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, published by Hijr Center for Arab and Islamic Research and Studies, Cairo, 1st ed.

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, (n.d.). *The Authentic Collection*, Salafism.

Al-Khatib, Abdul Karim, (1975). *God, Essence and Object*, Dar Al-Ma'rifah, Beirut, 3rd ed.

Al-Sadr, Muhammad Baqir, (1977). *The Logical Foundations of Induction*, Dar Al-Ta'aruf, Beirut, 2nd ed.

Amri, Sami, (2016). *The Problem of Evil and the Existence of God*, Takween Center.

Amri, Sami, (2019). *Proofs of the Existence of God*, Takween Center.

Ashqar, Omar, (1979). *The Belief in Allah*, Al-Falah Library, Kuwait, 1st ed.

Hassan, Ahmed, (1437 H). Media and Atheism, Cinema and the Unconscious, Popular Discourse of Atheism, Dalaleel Center.

Hawwa, Saeed, (1969). *Allah, the Almighty*, Dar Al-Da'wah, Beirut, 1st ed.

Ibn Al-Jawzi, Abdul Rahman, (1980). *Omar bin Al-Khattab*, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed.

Ibn Taymiyyah, Ahmad Abdul Halim, (1977). *Dar Tarjuman Al-Sunnah*, Lahore, Pakistan, 3rd ed.

Mahmoud, Mustafa, (1970). *My Journey from Doubt to Faith*, Diwan Publishing, 1st ed.

Mahmoud, Mustafa, (2005). *Dialogue with my Atheist Friend*, Dar Akhbar Al-Youm.

Muslim, Ibn Al-Hajjaj, (n.d.). *Sahih Muslim*, Dar Al-Fikr.

Sabq, Sayed, (n.d.). *Islamic Beliefs*, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut.

Sherif, Amr, (1977). *The Myth of Atheism*, Al-Shorouk International Library, Cairo, 1st ed.

Talaat, Haitham, (2014). *Encyclopedia of Response to Atheists*, Dar Al-Kateb, Ismailia, 1st ed.

Talaat, Haitham, (2021). *Islam and Atheism Face to Face*, Da'wa Association, Riyadh.

Yassin, Muhammad Naim, (2001). *Investigations into the Mind*, Dar Al-Nafaes, Jordan, 1st ed.